وكان عبد الملك بن مروان يتمثل بهذين البيتين
اعمل على مهل فانك ميت   واكدح لنفسك ايها الانسان
فكان ما قد كان لم يك اذ مضى   وكان ما هو كائن قد كان
ونظر سليمان بن عبد الملك يوما في المرآة فاعجبته نفسه فقال انا الملك الشاب
فقالت جارية من جواريه من قصره   انت نعم المتاع لو كنت تبقى غير ان لا بقاء للانسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب   عابه الناس غير انك فان
فمات قبل تمام سبعة ايام وعن انس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ناقته الجدعاء فقال يا ايها الناس كان الموت فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها
على غيرنا وجب وكان الذي تشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم
اجداثهم ونأكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وامنا كل جائحة
طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب غيره وانفق من مال كسبه من غير معصية ورحم اهل الذل
والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن اذل نفسه وحسنت خليقته وصلحت
سريرته طوبى لمن عمل بعلمه وانفق من فضل ماله وامسك من فضل قوله ووسعته السنة ولم يعدها
الى البدعة وقال عليه السلام زوروا القبور تذكركم الاخرة وحفر الربيع بن خيثم
قبرا في داره فكان اذا وجد قسوة من قلبه اضطجع فيه ومكث ما شاء ثم يقول رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم يخرج وقيل ابلغ العظات النظر الى قبور الاموات وقيل
وعظتك احداث صمت   ونعتك ازمنة خفت
وتكلمت عن اوجه   تبلى وعن صور سبت
وارتك قبرك في القبور   وانت حي لم تمت
وقيل من لم يمت لم يفت ووجد على قبر مكتوب
من امل البقاء وقد رأى   مصارعنا فهو مغرور   وحكي ان العتاهية رحمه الله وعفا عنه
ان مع اليوم فاعلمن غدا   فانظر بما ينقضي مجيء غده
ما ارتد طرف امرئ بلذته   الا وشيء يموت من جسده
ولما مات الاسكندر قال بعض الحكماء كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم اوعظ
منه امس وحكي ان العتاهية كان جالسا فضرب بيده ثم اي ما نفضت ترابه فقبور من بين يديه

وكان

٢١

وكانت في حياتك لي عظات   وانت اليوم اوعظ منك حيا
وقال عليه السلام لو تكاشفتم ما تدافنتم وعاش زر بن حبيش مائة وعشرين
سنة فلما حضرته الوفاة قال رحمه الله وعفا عنه بخمسة وشعر
اذا الرجال ولدت اولادها   وبليت من كبر اجسادها
وجعلت اسقامها تعتادها   تلك زروع قد دنا حصادها
وكتب رجل لصالح بن عبد القدوس الموت باب وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الباب ما الدار
فاجابه صالح بقوله   الدار دار نعيم ان عملت بما يرضي الاله وان خالفت فالنار
هما محلان ليس للمرء غيرهما   فانظر لنفسك ايها الدار تختار

الباب الرابع في ذم الدنيا

خلق الله الخلق محتاجين وفطرهم عاجزين ليعلموا انه المنفرد بالغنى والمختص
بالقدرة فيدلهم بفقرهم انه الخالق وبغناه انه الرازق فيخضعوا لطاعته رغبة
ورهبة ويقروا بنقصانهم عجزا وحاجة وخلق الانسان اكثر احتياجا من جميع
الحيوان لان اكثر الحيوان يستقل بنفسه ويستغني عن جنسه والانسان لابد له من
الاستعانة بغيره فكان في الحاجة وفقدانه العجز يمنعانه من طغيان الغنى وبغي
القدرة ثم جعل لنيل حاجته اسبابا ولدفع عجزه حيلة لدفع عجزه دله عليهما
بالعقل وارشده اليهما بالفطنة قال ابن مسعود في قوله تعالى وهديناه النجدين
اي طريقي الخير والشر ولا يخفى العقل والفطنة مقتضاه بهما الا ان الهوى قد يخطئ
او الجهل ويفتقر والاستغناء كما قيل كم عاقل فطن اعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا   هذا الذي ترك الاوهام حائرة   وصير العالم النحرير زنديقا
وعلل المفاسد والمصالح منها ما هو ظاهر ومنها ما هو مغيب حكمة استأثر
الله بها فينبغي للعبد ان يحسن ظنه بالله تعالى فيهما وقال عليه السلام حسن الظن بالله
من عبادة الله واسباب الحاجة وحيل العجز انما هو في الدنيا التي هي دار تكليف وعمل
لا الاخرة دار قرار وجزاء فليبصر الانسان من بناه حظا من عنايته لانها منزوع
نزعهم وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام فاذا فرغت فانصب اي اذا فرغت من امر
دنياك فانصب في العبادة قال عليه السلام ليس خيركم من ترك الدنيا للاخرة ولا الاخرة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)